الندوة العلمية الموسومة : " مظاهرات 11 ديسمبر 1960م وأهميتها التاريخية"

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية –قسنطينة

كلية الآداب والحضارة الاسلامية

قسم التاريخ

يوم: الثلاثاء 09جمادى الآخرة 1446هـ الموافق:10 ديسمبر 2024 م

عنوان المداخلة: "موقف الحكومة المؤقتة من مظاهرات 11 ديسمبر"

د. قاسي فريدة

أستاذ محاضر أ

f.gaci@univ_emir.dz

ملخص

انطلقت الثورة التحريرية سنة 1954م لتغير واقعا استعماريا عانى منه الشعب الجزائري 130 سنة وكانت أبرز محطات الثورة قيام الحكومة المؤقتة الجزائرية الذي زلزل أسطورة الاستعمار الفرنسي قوة لا تقهر فبعد أربع سنوات من الكفاح السياسي والعسكري جاء تأسيس الحكومة في سبتمبر 1958 ليعطي دفعا للثورة على المستويين الداخلي والخارجي. فلقد تصدت للمناورات الديغولية وأكسبت الجزائر دعما دبلوماسيا وأسمعت صوتها عبر منابر هيئة الأمم. وفي 11 ديسمبر 1960 خرج الشعب الجزائري في مظاهرات عارمة أثبت به تأييده للحكومة المؤقتة وجبهة التحرير الوطني رافضا لفكرة الجزائر الفرنسية، **فما موقف الحكومة المؤقتة من هذه المظاهرات؟ وما تأثير هذا الموقف على تطور الاحداث فيما بعد خاصة ما تعلق بملف التفاوض؟**

الكلمات المفتاحية: الثورة التحريرية، الاستعمار الفرنسي، الحكومة المؤقتة، مظاهرات 11 ديسمبر، الشعب الجزائري.

summary

The Liberation Revolution began in 1954 AD to change a colonial reality from which the Algerian people had suffered for 130 years. The most prominent milestone of the revolution was the establishment of the Algerian interim government, which shook the myth of French colonialism as an invincible force.

After four years of political and military struggle, the establishment of the government came in September 1958 to give impetus to the revolution at the internal and external levels, It confronted the Gaullist maneuvers, gained Algeria

diplomatic support, and made its voice heard through the podiums of the United Nations. On December 11, 1960, the Algerian people went out in massive demonstrations, demonstrating their support for the interim government and the National Liberation Front, rejecting the idea of French Algeria.

What is the interim government's position on these demonstrations? What is the impact of this position on the development of events later, especially regarding the negotiation file?

Keywords: Liberation Revolution, French colonialism, interim government, December 11 demonstrations, the Algerian people.

مقدمة

خلال جلسات المؤتمر الثاني للمجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي عقد بالقاهرة في 27 أوت 1957م طرحت للنقاش وبصورة جدية فكرة إنشاء حكومة جزائرية وفوّض للجنة التنسيق والتنفيذ أمر تشكيلها، وجاء مؤتمر طنجة سنة 1958م فأوصى بعد مشاورة حكومتي تونس والمغرب بإقامة حكومة المنفى، وفي 4 أفريل 1958م أعلنت لجنة التنسيق والتنفيذ عن تأسيس نواق الحكومة، بإنشاء ثمانية مصالح وزارية، وتكوين لجنة لدراسة إمكانية تكوين حكومة مؤقتة من طرف عمر أوعمران، كريم بلقاسم، ولخضر بن طوبال، وفرحات عباس.

1-تأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية:

تمّ الإعلان عن قيام الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958م لتحلّ محلّ لجنة التنسيق والتنفيذ بالقاهرة في حفل كبير حضر فيه جمع غفير من الصحفيين وسفراء بعض الدول العربية كما حضرته وكالات الأنباء الدولية[1] وأذيع الإعلان عنها عبر أمواج الأثير من الرباط وتونس والقاهرة[2]، وقد اختير فرحات عباس رئيسا لها باعتباره سياسيا محنّكا في ميدان المفاوضات ومعتدلا مقارنة بغيره من قادة الثورة لما عرف بثقافته الواسعة التي مكّنته من إعطاء وزن دبلوماسي للثورة الجزائرية في مواجهة سياسة الجنرال ديغول ومناوراته.

وقد حظيت الحكومة المؤقتة بتأييد وولاء شعبي كبير ممّا أشعل حماس الجماهير الجزائرية واعتبر جيش التحرير هذه الخطوة العملاقة صوب الأمام قطفا لثمار كان هو زارعها.[3]

وكان من مبادئ وأسس الحكومة المؤقتة من خلال البيان الذي قرأه فرحات عباس الصّادر يوم 26 سبتمبر 1958م ما يلي:

1-الوفاء للماضي وأن هذا الماضي يشكّل قوة عظيمة الأهمية للمعركة الحاضرة ضدّ مشروع فرنسا حول محو الدولة الجزائرية: "وإنّ هذا الإعلان الذي وقع باسم شعب يكافح منذ أربع أعوام في سبيل استقلاله قد بعث الدولة الجزائرية التي ابتلعها الاحتلال سنة 1830م ومحاها بصفة قاسية ظالمة من الخارطة السياسية للشمال الافريقي"[4].

2- ألحت الحكومة على توضيح موقفها من الشعب الجزائري ونضاله الذي يقوده منذ أربع سنوات فوجّهت تحية للشهداء الذين عبّدوا طريق الحرية وأنّه بفضل هذه التضحيات استطاعت الثورة أن تخطو خطوة حاسمة عن طريق نضالها السياسي وهي تأليف

---

[1] Benjamin stora. Histoire de l'algerie contemporaine cas bach edition, Alger, 2004, p 180

[2] عثماني مسعود، تشريح حرب، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات المسك، 2010، ص 323.

[3] "أول تصريح للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية"، أدلى به رئيس الحكومة السيد فرحات عباس، الذاكرة، س3، العدد 4، 1996م، ص 266.

[4] "أسس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ومبادئها"، المجاهد، عدد 40، 10 أكتوبر 1958م، ص 4.

حكومة للجمهورية الجزائرية: "وقد مضت أربع سنوات على هذا الشعب وهو في ميدان الكفاح صامدا أمام قوة عسكرية من أضخم قوى العالم وسقط في ميدان الشرف والكرامة من أبنائه ما يزيد عن الستمائة ألف شهيد خضّبت دماؤهم طريق الحرية المجيد الطويل ورغم آلاف ورغم آلاف الضحايا ظلّ صامدا في عقيدته مؤمنا بأن ساعو التحرير آتية لا ريب فيها"[5].

3- تعهّد الحكومة أمام الشعب الجزائري بتحقيق الحرية والعدالة والتحرير الاجتماعي: "إن الحكومة المؤقتة للجمهورية المنبثقة عن إرادة الشعب شاعرة من هذه الناحية بكل مسؤولياتها وإنها ستضطلع بها جميعا وأوّل هذه الواجبات أن تقود الشعب الجزائري والجيش حتى يتحقق التحرر الوطني ثمّ إنّ الكلمة سترجع إلى الشعب بعد أن يتحقّق هذا التحرير"[6].

4- إعلان المسؤولية التي تتحمّلها فرنسا في هذه الحرب أمام العالم وذلك باعتدائها على الدولة الجزائرية وانتهاك مقدّسات الشعب بوسائل الإجرام والإرهاب والإبادة الجماعية، وأن الحكومة الجزائرية الشرعية التي تمثل الشعب الجزائري وتقود كفاحه مستعدة للدخول معها في مفاوضات لنضع حدّا للحرب: "لقد كنّا دائما نؤكّد رغبتنا في حلّ القضية الجزائرية حلا سلميّا بطريق التفاوض ولكن الرفض المتعنّت الذي قابلت به حكومات فرنسا طلب المفاوضة هو السبب الرئيسي في إطالة أمد الحرب"[7].

5- إقناع الرأي العام العالمي بأن الممثل الشرعي للشعب الجزائري موجود ومستعدّ للدخول في مفاوضات رسمية مع الحكومة الفرنسية طبقا للشروط التي حدّدها بيان أول نوفمبر 1954م والتي أقرها مؤتمر الصومام، وكذا لوضع حدّ فاصل لما تدعيه الحكومة الفرنسية في مناسبات عديدة بأنها لا تجد أمامها ممثلا حقيقيا للمسلمين الجزائريين لتتفاوض معه رسميا.

وقد لخّص أحمد توفيق المدني الهدف من تشكيل الحكومة المؤقتة ومهمتها في قوله: "المقصود منها إقناع الرأي العام العالمي بأن المفوض الجزائري موجود وهو يظهر رغبته في الاتصال ضمن مفاوضات رسمية بالحكومة الفرنسية على مقتضى الشروط التي أعلنتها الثورة والمهمة الأساسية للحكومة المؤقتة هو تحقيق الاستقلال، ويمكّن الجزائر من إبداء صوتها في وسط عالمي"[8]، كما يتضح الهدف أيضا من تشكيلها من خلال الرسالة التي بعث بها فرحات عباس إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر والتي جاء فيها: "إن تشكيل هذه الحكومة في هذا الوقت بالذات إنّما هو رد عملي علني على ذلك التحدي الصّارخ الذي ألقت به الحكومة الفرنسية على وجه الشعب الجزائري المجاهد عندما أعلنت سياسة الاندماج التام وأخذت ثواني تنفيذها بواسطة إرغام الشعب الجزائري على المشاركة في الاستفتاء والذي تقوم به فرنسا في 28 سبتمبر 1958م حول الدستور الفرنسي الجديد"[9].

والخلاصة أن تأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية جاء من أجل تحرير الوطن وإيجاد الطرف الشرعي للتفاوض مع الحكومة الفرنسية، وأن الكلمة ستعود إلى الشعب الجزائري فإليه وحده يعود حقّ صياغة وتشكيل الأوضاع النهائية للدولة الجزائرية[10].

---

[5]"أول تصريح للحكومة المؤقتة"، المقال السابق، ص 268.

[6]المقال نفسه، ص272.

[7]Mohamed Harbi, FLN mirage et réalité, Edition ENAP, Alger, 1993, p 204

[8]أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، 3 ج، الجزائر، عالم المعرفة، 2010، ج3، ص 402 403.

[9]محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون (1960-1961)، (د.ط)، الجزائر، دار هومة، 2007م، ص 216.

[10]رمضان بورغدة، "عرض الجنرال ديغول لسلم الشجعان، وتقرير المصير وتأثيراتها على الثورة الجزائرية"، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع(2)، 2008، ص 107-108.

2- الحكومة المؤقتة ومبدأ تقرير المصير

عاد الجنرال ديغول إلى الحكم عقب انقلاب 13 ماي 1958م، وكانت برقية الجنرال سالان -الذي تولى السلطات المدنية والعسكرية- "أن يتمّ اختيار الرجل المناسب القادر على تشكيل حكومة والاحتفاظ بالجزائر الفرنسية"، فانتخب الجنرال ديغول رئيسا للجمهورية الخامسة وتولّى الحكم في 1 جوان 1958م.

وأعلن في خطاب مذاع ومتلفز بتاريخ 16 سبتمبر 1959م عن مبدأ تقرير مصير الشعب الجزائري للحدّ من التطلع إلى الانفصال عن الوطن الأم[11]، وعلى الرغم مما توحيه هذه العبارة من دلالات الحرية والاستقلال إلا أن ديغول ربط هذا المبدأ بعدّة قيود أفرغته من محتواه، ووضع الجزائريين أمام خيارات يشرحها ديغول بناءا على أنه أمام فرنسا مشكلة صعبة ودموية هي مشكلة الجزائر يجب علينا حلّها وأنّه لا مجال للشعارات العقيمة لهؤلاء وأولئك، ويقصد شعار "الجزائر المستقلة" الذي تتبنّاه جبهة التحرير الوطني، وشعار "الجزائر الفرنسية" الذي يتبنّاه المستوطنون، وقد تصوّر ديغول ثلاثة حلول للمشكلة الجزائرية:

- فإما أن يختار الناخبون الجزائريون ما سمّاه الانفصال، وهنا يعبّرون عن إرادة الانفصال عن فرنسا وأن هذا -حسب اعتقاده- سيؤدي إلى كارثة وفوضى سياسية بشعة.
- والخيار الثاني وسمّاه الفرنسة الكاملة Francisation compléteوهو خيار المستوطنين ومعظم قادة الجيش الفرنسي والذي لن يزيد المشكلة الجزائرية إلا تعقيدا وبالتالي يتحاشى ذكر مصطلح "الإدماج" الذي دأب المستوطنون على المطالبة بتحقيقه.
- وأما الخيار الثالث فهو حكم الجزائريين بالجزائريين Gouvernement des algériens par les algériens وبمساعدة فرنسا ووحدة وثيقة معها في مجالات الاقتصاد والتعليم والدفاع والعلاقات الخارجية[12].

وقد رفض ديغول الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري واعتبر أعضائها: "يمثلون مجموعة من القاصرين العازمين على بناء دكتاتورية شاملة بواسطة القوة والرعب ويعتقدون أنهم يستطيعون أن يجبروا الجمهورية الفرنسية على منحهم امتياز التفاوض معها لتحديد مستقبل الجزائر والتعامل معهم كحكومة"[13]، وأكّد أنّ "مصير الجزائر يملكه الجزائريون أنفسهم ليس كما يفرضه عليهم السكين والرشاش ولكن تبعا للإرادة التي يعبرون عنها شرعيا عن طريق التصويت العام"[14].

---

[11] صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، (د.ط)، دار الكتاب الحديث، 2009م، ص 111

[12] المرجع نفسه، ص 112.

[13] رمضان بورغدة، المقال السابق، ص109.

[14] Max Gallo, De Gaulle, le premier des francais, Edition Bradar et Tau pin, Paris, 2004, p 270
نقلا عن بورغدة، المقال السابق، ص 114

لقد شرع ديغول في زيارات متتالية [15] إلى الجزائر من أجل الإطلاع على الوضع واتخاذ القرارات المناسبة، ألقى خلال هذه الزيارات خطبا أمام الجمهور أو كلمات في إذاعة الجزائر تميزت بالتركيز على الإصلاحات السياسية والاقتصادية والتحفظ التام فيما يتعلق بالحل السياسي المستقبلي للقضية الجزائرية.

إن النظرة الديغولية تتلخص في أن التطور الضروري للجزائر أن يتم في الإطار الفرنسي، ومستقبل الجزائر تريد فرنسا أن تحدده مع الجزائريين أنفسهم فليسمعوا إذن أصواتهم، والمصير السياسي للجزائر موجود في الجزائر ذاتها[16].

إن الشعارات التي حملت ديغول إلى السلطة (الجزائر فرنسية) هي غائبة الآن عن خطاباته ولا يتحدّث عنها على الرغم من عبارته التاريخية التي تحدّث بها إلى المستوطنين "لقد فهمتكم" والتي قالها في أول ظهور له بالجزائر في 4 جوان 1958م، وهذا دليل على أن شيئا قد تغيّر بين باريس والجزائر الأوروبية، كذلك مطلب "الاندماج" الذي كان يلحّ عليه القادة العسكريون في اجتماعاته بهم وينقلون إليه رغبات لجان الإنقاذ والشارع الأوروبي في الجزائر[17].

إن ديغول من خلال خطاباته –كان من خلال خطاباته– كان واثقا من نفسه ومن طروحاته وعدم الانصياع لدعاة الجزائر الفرنسية الذين صمّموا على مقاومته وأنّهم أساءوا الاختيار، وبالمقابل عكفت الحكومة المؤقتة الجزائرية على دراسة مشروع الاستفتاء وحقّ تقرير المصير –الذي أعلنه ديغول– ثمّ أصدرت بيانها للرد عليه أهمّ ما جاء فيه: "إن الشعب الجزائري قد اضطره الاستعمار إلى حمل السلاح والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تؤكّد إرادتها في الكفاح إلى أن يتحقق التحرير الوطني....لقد اعترف رئيس الجمهورية الفرنسية –باسم فرنسا– وعلى الملأ بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم، هذا التطور لم يكن ممكنا إلا بفضل كفاح الشعب الجزائري منذ خمس سنوات، إن جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني خاضا الحرب وسيواصلان خوضهما إذا لزم الأمر عدّة سنوات أخرى إلى تحقيق السيادة الكاملة والاستقلال التام، إن المبدأ الذي يقوم عليه الكفاح لا يمكن النّيل منه والمتمثل في وحدة التراب الوطني ووحدة الشعب الجزائري الذي لا يمكن أن يتجزأ"[18].

إن الحكومة المؤقتة التي اعترفت بها عدة دول هي الضامنة والمؤتمنة على الشعب الجزائري إلى أ، يعبر عن اختياره بحرية ولأجل هذا الهدف فإنها مستعدة للدخول في محادثات مع الحكومة الفرنسية.

---

[15] من جوان إلى ديسمبر 1958م جاء ديغول إلى الجزائر خمس مرات كانت كالتالي:
من 4 إلى 7 جوان زار مدن وهران والعاصمة ومستغانم
1 جويلية وخصصت للمراكز العسكرية
من 27 إلى 29 أوت توقف بالجزائر العاصمة وهو عائد من جولته الافريقية
من 2 إلى 5 أكتوبر التي أعلن فيها مخطط أو مشروع قسنطينة
من 3 إلى 6 ديسمبر زيارة خصصت لتفقد الحقول البترولية

[16] إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830–1962م، الجزائر، دار الغرب، 2003، ج2، ص 295 297

[17] أحمد مسعود سيد علي، "المجلس الوطني للثورة الجزائرية وعروض ديغول لإحلال السلام 1959–1961م"، مجلة البحوث والدراسات، ع 21، جانفي 2016م، ص 294

[18] المقال نفسه، ص 296

إن مفهوم تقرير المصير عند ديغول مختلف تماما لدى جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة، فديغول سيبتعد خيار الاستقلال والإدماج ويعوّل على خيار الاتحاد الفيدرالي أو المشاركة ضمن حكومة صورية، واستبعاد كليا الصحراء الجزائرية وفصلها عن هذه الحكومة مستقبلا، وهذه المبادرة أعدّها ليلهي الجماهير الجزائرية التي أنهكتها –حرب الإبادة– لتتخلى عن جبهة التحرير الوطني ونتعلّق بسراب تقرير المصير المزيّف[19]، لهذا جاء ردّ الحكومة المؤقتة صارما وأن شروط تقرير المصير جاءت بها مواثيق الثورة –من قبل– وهي وحدة التراب الجزائري والاعتراف المسبق باستقلال الجزائر وبجبه التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري، وبعد المشاورات كلّفت الحكومة لجنة في 22 سبتمبر 1959م لتحضير وصياغة بيان الحكومة وتشكّلت اللجنة من عمر أوصديق، شوقي مصطفاي، محمد يزيد، عبد الحميد مهري، أحمد بومنجل، وأحمد فرنسيس[20].

وتمّت الصيغة النهائية للبيان في 28 سبتمبر 1959م والذي خلص إلى أنه لابدّ من استغلال مبادرة ديغول بما يخدم استراتيجية الثورة فركّز على النقاط التالية:

–الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري

– الاعتراف بوحدة الشعب والتراب الجزائريين.

– لا يمكن تطبيق حق تقرير المصير في ظل وجود إدارة الاحتلال المدعمة من طرف جيش استعماري.

–لا يمكن ربط مبدأ تقرير مصير الشعب الجزائري باستشارة الشعب الفرنسي في انتخابات مزعومة.

– استعداد الحكومة المؤقتة لإجراءات محادثات مع الحكومة الفرنسية من أجل الاتفاق على الشروط السياسية والعسكرية لوقف إطلاق النار والشروط الخاصة بضمانات مبدأ حق تقرير المصير[21].

– أن تجرى المفاوضات في بلد محايد.

وكان نداء فرحات عباس إلى الشعب الجزائري: "فمنذ اللحظة التي تقبل فيها الحكومة الفرنسية أن تعود الكلمة للشعب الجزائري، وأن تقدّم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية موافقتها، ومنذ اللحظة التي يتمّ فيها الاعتراف للشعب الجزائري بحقّ اختيار مصيره الخاص لن يكون هناك من مكان لمفاوضات حول صيرورة الجزائر وليس من مكان لوضع قائم مفروض مسبقا"[22].

3– الحكومة المؤقتة ومظاهرات 11 ديسمبر

---

[19]أحمد مسعود سيد علي، المقال نفسه، ص 297

[20]فرحات عباس: "نداء إلى الشعب الجزائري 27 جانفي 1960م في: أندري ماندوز، الثورة الجزائرية عبر النصوص، (د.ط)، ترجمة ميشال سطّوف، مراجعة وإشراف سمير سطوف، منشورات ANEP، 2007

[21]ابتكر ديغول أحدث وسائل التعذيب لترهيب وتخويف الشعب الجزائري، لعزله عن ثورته وطبّق مشاريع عسكرية جبارة منها مشروع شال وكذلك فرقة الكومندوس، وعملية التاج وعملية الأحجار الكريمة في ديسمبر 1959م وعملية إيتانسال نوفمبر 1959م وكذلك عملية المنظار. ينظر: بوضرساية بوعزة، "مظاهرات 11 ديسمبر، ذكرى وعبرة"، الثقافة، س9، ع 105 – 106، ص 21.

[22]نقلا عن محمد عباس، نصر بلا ثمن، الثورة الجزائرية 1954–1962م، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص 633.

في نهاية سنة 1959م وقف الجنرال ديغول وقفة تقييم لحصيلة سنة من "الحرب الشاملة" التي أعلنها ضدّ الثورة والتي بلغت أوجّها من ناحية القمع والإبادة [23]، وكذلك سياسة "الوسائل الكبرى"، فحقائق الثورة صدمته وبدّدت أوهامه في القضاء عليها سياسيا وعسكريا ففي رسالة له بتاريخ 26 ديسمبر إلى قائد أركان الجيش جاء فيها: "رغم كلّ التطمينات والوعود والأوهام لم نتمكّن من استمالة أغلبية السكان سواءا بالجزائر أو بفرنسا أو بالخارج.....إذا أصغينا للحالمين يكفي أن نكون الأقوى لينضوي المسلمون تحت رايتنا، ترى كم من قوات إضافية ينبغي تجنيدها للحصول على هذا الولاء....إن الاعتقاد بأن الحل يكمن في الإدماج أو الفرنسة –وما يتبع ذلك من سيطرتنا على البلاد بالقوّة– لا يعدو أن يكون حماقة مؤسفة فمن الجنون بكل بساطة الاعتقاد بأن سيطرة القوة يمكن أن يكون لها مستقبل في هذا البلد"[24].

إذن هذه المشاعر الثائرة تعبّر بوضوح عن فشل سياسة الجنرال ديغول وبداية التبشير "بالجزائر الجديدة". ولهذا جاء إعلان 16 سبتمبر 1960م الذي أعرب من خلاله ديغول عن عزمه الإحتكام إلى تقرير المصير لتسوية حرج المشكلة الجزائرية، وعمل على ضمان نجاح مشروعه الجديد الذي أعلنه في شهر نوفمبر 1960م وشعاره "الجزائر جزائرية" من خلال تصريح جاء فيه ما يلي: "لما كنت قد توليت الرئاسة الأولى في فرنسا وإنما إلى الجزائر جزائرية ويعني ذلك أن الجزائر ستصبح مستقلة وتتمتع إذا شاءت –وهذا الواقع– بحكومتها ومؤسساتها، وقوانينها".

وحاول ديغول الترويج لمشروعه عن طريق الدعاية الواسعة بزيارة الجزائر بتاريخ 9 ديسمبر 1960م، والتي تهدف إلى معاينة ما يجري في الجزائر عن طريق إجراء العديد من اللقاءات الشخصية تجمعه بمختلف الضباط العسكريين وأعضاء المصالح والإدارات الفرنسية لتحضير الاستفتاء الذي تقرّر إجراؤه في 8 جانفي 1961م[25].

فكانت هذه الزيارة سببا في اندلا ع مظاهرات المستوطنين الفرنسيين فبمجرد الاعلان عن االزيارة قامت جبهة الجزائر الفرنسية التي أصبحت تتمتع بنفود واسع وسط المستوطنين بإصدار بيان بتاريخ 8 ديسمبر 1960 ومما جاء فيه: "يطلب من العمال والفلاحين والحرفيين والموظفين وارباب العمل ومن النساء والشيوخ والاطفال الخروج الى الشارع للتأكيد على مبدأ الجزائر الفرنسية"[26]، فانطلقت مظاهراتهم في أهم المدن الكبرى بصفة رسمية في 9 ديسمبر 1960 (الجزائر العاصمة، وهران، قسنطينة، عين تموشنت، تلمسان، سكيكدة، سيدي بلعباس) وصاحبت هذه المظاهرات سلسله من الاضرابات في مختلف القطاعات الاقتصادية والتجارية مما ادى الى شلل لأغلب تلك المدن وهذا للرد على تحركات ديغول في اقناع الاوروبيين بانه سيد الموقف في الجزائر[27].

---

[23] شارل ديغول، مذكرات الأمل، (ط.2)، ترجمة سموحي فوق العادة، بيروت، منشورات عويدات، 1986م، ص 102.

[24] أحمد منغور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954–1962م، (د.ط)، الجزائر، دار التنوير، (د.ت)، ص 76.

[25] La depeche de Constantine, n° 16743, vendredi 9 decembre 1960

[26] أحمد منغور، المرجع السابق، ص 76 77.

[27] محمد تقية، الثورة الجزائرية، المصدر، الرمز والامال، العنوان الأصلي للكتاب، L'algerie en guerre، (د.ط)، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، 2010، ص 515.

فكان رد فعل الجزائريين الخروج في مظاهرات مضادة ينادون فيها وحده الشعب الجزائري والتفاوض مع جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة وعلى راسها فرحات عباس وتعتبر هذه المظاهرات مؤشرا هاما على مدى السياسي الذي بلغه الشعب الجزائري على الرغم من بعض النقائص فقط كانت الاوساط الاستعمارية في الجيش والصحافة تركز على الطابع العفوي لسلك المظاهرات وذلك بغيه التقليل من شان جبهه التحرير الوطني[28].

لم تكن مظاهرات 11 ديسمبر وليدة الصدفة بل تم تحضير لها كما يجب وبالتالي عبرت عن نظر الشعب الجزائري وايمانه بقضيته العادلة فالتحضير لهذه الانتفاضة كان نابعا من استراتيجيه الثورة في حد ذاتها، ويذكر لخضر بورقعة ان هذه الانتفاضة المهمه الى بعض المجاهدين وعلى رأسهم بوعلام رشاي ومحمد بوسماحة وخير الدين والسعيد بوراوي وعبد الرحمن الوناس ومحمد تقيه[29].

لقد خرجت الجماهير الغفيرة الى الشارع حامله لشعارات "الجزائر مسلمه" "الجزائر جزائرية" "يحيا الاستقلال" "يحيا فرحات عباس" [30]لتقول كلمتها، وقد سمعها الجنرال يقول وراءها وهو يتتبع الاحداث ويأخذها بعين الاعتبار وكان رد الحكومة المؤقتة على مظاهرات 11 ديسمبر بعقد فرحات عباس ندوه صحفيه يوم الاثنين 12 ديسمبر 1960 بنزل الماجيستيك بالعاصمة التونسية، وقد حضر الى جانب الرئيس فرحات السيد عبد الحفيظ بوالصوف –وزير التموين والتسليح– وألقى فرحات بيانا طويلا اهم ما جاء فيه: "الشعب الجزائري يؤكد رغم المحاولات الاستعمارية تعلقه بالاستقلال الوطني وحكومته، وهذه المظاهرات الصاخبة التي قام بها الجزائريون والمجازر التي ذهبوا ضحيه لها تبين بوضوح الفرق الشاسع الموجود بين التصريحات الرسمية وبين الواقع في الجزائر. لقد أرادت الحكومة الفرنسية مغالطة الرأي العام الدولي لتزكّي سياستها في بلادنا وتدفع الجزائريين للقيام بحركات لفائدة النظام الذي تريد الحكومة الفرنسية فرضه بالجزائر فقام السكان الجزائريون في وجه جيش الاحتلال لتأكيد تعلقهم بالاستقلال الوطني وبالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وهذا إنما يدل على أن النظام الاستعماري قد خسر المعركة بصفه نهائية وان شعبنا يتقدم بخطى واسعة نحو الحرية"[31].

لقد تغير وجه العالم ولكن الاستعماريين الفرنسيين يتجاهلون هذه الحقيقة، ففي مولان اظهرت فرنسا ان تقرير المصير لم يكن إلا عباره فارغه خاليه من كل معنى، فقد رفضت كل مناقشه حول ضمانات تقرير المصير وعبرت بذلك عن عزمها على ان تقتصر المناقشات على ترتيب استسلام قواتنا المحاربة بدون قيد ولا شرط.

وتبين جليا أن أي تفاوض ذا قيمة مع فرنسا أصبح غير ممكن وطلبنا من الامم المتحدة تنظيم ومراقبه استشارة حرة في الجزائر، وإذا كان من حق الشعب الجزائري ان يقرر مصيره بحرية فإن هذه الحرية لا يمكن ضمانها الا بمراقبة دولية من طرف الامم المتحدة[32].

---

[28]بوعزة بوضرساية، المقال السابق، ص24

[29]بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، (ط.1)، دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م، ص 320 321.

[30]حول تفاصيل هذه المظاهرات ينظر: قادر كلاش، "مظاهرات 11 ديسمبر 1960م"، الثقافة، ع 105 106، ص 11 18.

[31]فرحات عباس يقول في ندوة صحفية: "أنظار سكان العالم تتجه نحو الجزائر"، الذاكرة، العدد 4، ص 275 276.

[32]المقال نفسه، ص 277.

وفي نداء الى الشعب الجزائري بعنوان "إلى الشعب الجزائري امتحانات اخرى تنتظرنا" في 16 ديسمبر 1960 خاطب فرحات عباس الجزائريون والجزائريات وذكر ان ما يجري في عاصمه الجزائر والمدن الجزائرية من مجازر وجرائم ضد شعب أعزل خرج في مظاهرات سلمية يثير الغضب والاستنكار، وأنني لأنحني أمام القبور التي لا تحصى والتي تضم ضحايا أبرياء.

أيها الجزائريون والجزائريات أنتم الذين واجهتم بروح من الصمود والتضحية جنود المستعمرين وجيش الفرنسي وبوطنية حارة لأذهلتهم العدو ونلتم اعجابنا واعجاب كل بني الانسان المؤمنين بالعدالة والحرية، إن كل جزائري أمام ذلك يشعر بالشرف والفخر بانتمائه للامة الجزائرية.[33]

إن هذا الشعب الذي يخرج إلى الشوارع برجاله ونسائه واطفاله وهو يهتف بحياة جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والجزائر المستقلة حاملا العلم الوطني، قد فرض نفسه على العدو وأعلن عزمه الصارم على ان يعيش حرا مستقلا ويا له من درس في النهاية لأولئك الذين ما يزالون يؤمنون بالتهدئة ويمنون أنفسهم بأنهم يستطيعون ان يفصلوا شعبنا عن جيشه وحكومته.[34]

إن المعركة التي خضتموها كان لها أبلغ الصدى وأعمقه وقد سجل العالم كله باعتبارها انتصارا ساطعا لكفاح التحرير الوطني، إن معركة المظاهرات هذه يجب أن تنتهي الان وإنها ليست هي المعركة الاخيرة وإن هناك امتحانات أخرى تنتظرنا.

وأخيرا فان استقلال الجزائر يتأكّد كل يوم أكثر في عالم الواقع وان الانتصار أمر لا ريب فيه.[35]

كما كان لمظاهرات 11 ديسمبر أثرا كبيرا على استئناف المفاوضات من جديد مع الحكومة الفرنسية، فقد جاء تصريح فرحات عباس في 16 جانفي 1961: "والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من جهتها جاهزة بحكم وعيها بمسؤوليتها لفتح مفاوضات مع الحكومة الفرنسية حول شروط الاستشارة الحرة للشعب الجزائري"[36].

وعبّر فرحات عن موقف حكومته الصارم من هذه القضية في الخطاب الذي ألقاه خلال انعقاد المؤتمر الافريقي بالدار البيضاء بالمغرب بين 3 و6 جانفي 1961م أن أساس التفاوض مع الحكومة الفرنسية الاعتراف بالسيادة الكاملة على التراب الجزائري بما في ذلك الصحراء[37].

ورغم أن المفاوضات مع الطرف الفرنسي كانت صعبة وشاقة إلا أن إصرار حكومتنا وعزم شعبنا أدى إلى افتكاك الاستقلال وتحقيق السيادة الكاملة على التراب الوطني.

---

[33] المقال نفسه، ص 278.

[34] "من الرئيس فرحات عباس إلى الشعب الجزائري امتحانات أخرى تنتظرنا"، الذاكرة، العدد 4، ص 283 284.

[35] " من الرئيس فرحات عباس إلى الشعب الجزائري امتحانات أخرى تنتظرنا"، ص 285 286.

[36] المقال نفسه، 287 288

[37] حميد عبد القادر، فرحات عباس، رجل الجمهورية، (د.ط)، الجزائر، دار المعرفة، 2007م، ص 238.